

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عما يقع يوم القيامة من تقرير الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون
إِنا من الملائكة وغيرهم فقال { ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون إنا } قال مجاهد : هو عيسى
والعزير والملائكة { فيقول أنتم أضللتم عبادي هؤلاء } الآية أي فيقول تبارك وتعالى
للمعبودين : أنتم دعوتهم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من
غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال إنا تعالى : { وإذ قال إنا يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس
اتخذوني وأمي إلهين من دون إنا قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت
قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم
إلا ما أمرتني به } الآية ولهذا قال تعالى مخبرا عما يجيب به المعبودون يوم القيامة {
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء } قرأ الأكثرون بفتح النون من
قوله { نتخذ من دونك من أولياء } أي ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك لا نحن ولا هم
فنحن ما دعوناهم إلى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن
برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى : { ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء
إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك } الآية وقرأ آخرون { ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من
دونك من أولياء } أي ما ينبغي لأحد أن يعبدنا فإننا عبيد لك فقراء إليك وهي قريبة المعنى
من الأولى { ولكن متعتهم وآباءهم } أي طال عليهم العمر حتى نسوا الذكر أي نسوا ما
أنزلته إليهم على السنة رسلك من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك { وكانوا قوما بورا
{ قال ابن عباس : أي هلكى وقال الحسن البصري ومالك عن الزهري : أي لا خير فيهم وقال ابن
الزبير حين أسلم : .

(يا رسول الملك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور) .

(إذ أجاري الشيطان في سنن الغد ... ي ومن مال ميله مثير) .

وقال إنا تعالى : { فقد كذبوكم بما تقولون } أي فقد كذبكم الذين عبدتم من دون إنا
فيما زعمتم أنهم لكم أولياء وأنهم يقربونكم إلى إنا زلفى كقوله تعالى { ومن أضل ممن
يدعو من دون إنا من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس
كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين } وقوله { فما تستطيعون صرفا ولا نصرا } أي لا
يقدرعون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم { ومن يظلم منكم } أي يشرك بإنا { ندقه
عذابا كبيرا }